



البنية الفنية وانعكاس الوعي الفكري في قصة الشهداء يعودون هذا الأسبوع للطاهر وطار
*The Artistic Structure and the Reflection of intellectual Consciousness in the in the
Tahar Wattar's Story Eshouhadaayaoudounahada el usboua*

د. الطاهر مسيلي*

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)

tahar.messili@univ-bejaia.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2026/01/10 تاريخ القبول: 2026-01-21	يهدف هذا المقال إلى إظهار مدى تمكن الطاهر وطار من مقارنته لواقع الجزائر بعد الاستقلال من خلال قصته الشهداء يعودون هذا الأسبوع التي فضح فيها السياسة المنتهجة من طرف أعداء البناء والتشييد. من بين أهم النتائج التي تم التوصل إليها هي أنّ هذا العمل تماشى وكتابة فن القصة المعاصرة، كما يحمل بين طياته رسالة هامة تتمثل في ضرورة الحفاظ على الوطن، وذلك بإسناد المسؤولية لأبنائه المخلصين.
الكلمات المفتاحية: ✓ الشهداء: ✓ الثورة: ✓ الخيانة:	Abstract : <i>This study analyzes the artistic representation of post-independence Algerian reality in Eshouhadaayaoudounahada elusboua story it highlights how the narrative exposes systematic strategies of deception employed by forces opposing-nation building. The Analysis shows that the text aligns with the aesthetics of the modern story and conveys clear intellectual messages centred on national preservation and collective responsibility.</i>
Article info Keywords: ✓ Martyrs: ✓ Revolution: ✓ Betrayal:	

1-مقدمة:

جاءت معظم النصوص القصصية الجزائرية مرآة عاكسة للواقع المحلي بمختلف مراحلها التاريخية، وتناولت أغلبها موضوعات اجتماعية، وجدانية وأخرى وطنية صورت بطولات الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم وحلمه في نيل حريته بغية العيش الكريم وبناء دولة ذات سيادة كاملة ينعم بخيراتها جميع أبنائها.

تعتبر قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" منبئين القصص التي تطرقت للثورة من منظور جديد، تمثل في ضرورة دحر الأيدي الخائنة والانتهازية من السيطرة على زمام الأمور في البلاد، وأن من يقودها هم الوطنيون المخلصون لها، المتشبعون بقيم الثورة المجيدة.

تكمّن إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن جملة من التساؤلات، أهمها على وجه التحديد: كيف كان البناء الفني لهذه المدونة المنتقاة؟ وما هي الرسائل والأفكار المبطنّة التي يريد الكاتب إيصالها لقارئه من خلال عودة الشهداء المفاجئة؟

ومن الفرضيات التي تطرحها هذه الدراسة أنّ عودة الشهداء بعد وفاتهم لم تأت عبثاً، بل كانت نتيجة طارئٍ استدعى حضورهم من جديد متعلق أساساً بما كافحوا من أجله، وهذا ما يشير إلى ضرورة ظهور صراع حتمي مع أطراف أخرى تمردت على المبادئ التي قدموا أرواحهم ثمناً لها.

انطلاقاً من كل هذا فإنّ الهدف من هذه الورقة البحثية يكمن أساساً في السعي إلى تحليل ما هو فني وفكري لهذه القصة قصد إظهار العلاقة بين شكلها ومضمونها، وتوضيح دور أسلوبها السردي في تجسيد موقف مبدعها الفكري والتاريخي.

وللإمام بكل جوانب هذا الموضوع فإنّي ارتأيت تقسيمه إلى عنصرين رئيسيين خصّ الأول البنية الفنية لهذه القصة، أما الثاني فيتعلق بالمرجعيات الفكرية للأطراف المتصارعة فيما بينها.

2-البنية الفنية:

1-2-العنوان:

يطرح عنوان هذه القصة العديد من التساؤلات التي تدور حول العودة المفاجئة وغير المنطقية للشهداء والغاية منها في هذا الظرف بالذات.

واللافت للنظر ورود هذا العنوان جملة اسمية، وهذا يدل على حالة الثبات والاستقرار، بمعنى أنّ وضع البلاد في مرحلته الأولى بعد الاستقلال لم يعرف التغيير، وبهذا كان لزاماً رجوع من حرروها لمسك زمام الأمور فيها.

وتعرب هذه الجملة كالاتي:

الشهداء: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

يعودون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، وواو الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل.

هذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه.

الأسبوع: بدل لاسم الإشارة منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، والجملة الفعلية يعودون هذا الأسبوع في محل رفع خبر للشهداء.

ولكون الجملة الفعلية جاءت خبراً فهذا «جعل من العنوان يتسم بـ"كثير من الحيوية والتفكير الجاد في أمر العودة، ويبدو المفعول فيه (هذا الأسبوع) عمدة وليس فضلة؛ إذ هو الذي يبعد الخبر عن المجازية: فلو قيل بأن الشهداء يعودون وكفى لفهمت العودة فهما أقرب إلى المجازية؛ كأن تتحقق قيم الشهداء التي ضحوا في سبيلها من حرية وكرامة ومساواة، غير أنّ إضافة الظرف "هذا الأسبوع" يبعد المعنى المجازي بنسبة كبيرة ويقرب الخبر من المعنى الحقيقي كثيراً، خاصة مع وجود اسم الإشارة الذي يعزز جدية العبارة ويسبغ عليها كثيراً من الاعتزاز»(باغورة، 2021، صفحة 26)، وهذا ما يحيل أيضاً إلى وجود أمر مستعجل يستلزم حضورهم.

2-2-الشخصيات:

تنقسم شخصيات هذه القصة إلى وطنية، خائنة وأخرى محايدة غير مكترثة بأمر عودة الشهداء.

1-2-2-الشخصيات المرجعية:

د. الطاهر مسيلي

يمثلها المؤمنون بقضية الثورة واستمرارها، يتقدمها الشيخ "العابد بن مسعود الشاوي" الذي يوصف بأنه متزن ومحترم بين الناس، زاهد في دنياه، كما أنه كان مناضلا في حرب التحرير. يمثل في هذه القصة الذاكرة الثورية الحية التي بقيت تفتخر بالتاريخ البطولي المجيد للجزائر «- الشاوي العابد بن مسعود ... عاشها.... الشيخ العابد يزن كلامه قبل أن يخرج. قيل بأنه تلقى رسالة من ابنه الشهيد "مصطفى" يخبره فيها بأنه سيعود إلى مسقط رأسه...» (وطار، 2012، صفحة 117)، لتبدأ بذلك تتابيح الحيرة حول الشخص الذي راسله فهو لا يملك أي معارف له في الخارج.

من هنا بدأ في التفكير ليدرك في الأخير بأن ابنه الشهيد "مصطفى" هو صاحبها وأنه سيعود خلال أسبوع فيصاب بالذهول ويهرع مسرعا لنشر الخبر بين قاطني قريته مستفسرا إياهم عن مدى ولائهم للشهداء، وكيف سيستقبلونهم ويعاملونهم؟ وما الذي سيحدث إن فتح ملف الثورة وشهادتها؟

ومن بين سكان القرية الذين وجه لهم هذه الأسئلة "سي المسعي" بصفته والد شهيد أيضا حول إمكانية عودة ابنه إليه، فيجيبه هذا الأخير بأن صورته لم تفارق مخيلته أبدا، بعدها مباشرة يخبره "العابد" بأن هناك رسالة قد وصلت من ابنه الشهيد "مصطفى" قائلا فيها: «بلغني أنهم سيعودون كلهم» (وطار، 2012، صفحة 119)، فتظهر على "سي المسعي" علامات الفرحة متمنيا وفاة ابنه مرة أخرى حتى يحصل على المزيد من الامتيازات المادية، وفي الوقت نفسه يصفه بالمختل عقليا، إذ كيف لميت منذ مدة طويلة أن يبعث للحياة مجددا.

ذاع خبر قصة "العابد" حتى وصل للمسؤولين عن القرية يتقدمهم قائد فرقة الدرك الوطني، الذي قرر استدعاه لوضع حد لخرافات، لكنه صدم بخبر انتحاره على طريق السكة الحديدية، الأمر الذي جعله يسرع للتحقيق في سبب الوفاة ومعاينة الجثة. وأثناء قيامه بذلك كانت الصدمة الكبرى بعثوره على الرسالة لدى "العابد" مستغربا من هذا الحدث العجيب الذي لا يستوعبه العقل إطلاقا.

كما نجد "مصطفى بن العابد" وهو شخصية تاريخية بامتياز لأنها تحيل إلى البطل الشهيد "مصطفى بن بو العيد". ولكن بعد تعريتها اتضح بأن حياتها مختلفة تماما عن واقع الشهداء، ويتجلى وجه الشبه بين الشخصيتين في الشجاعة، ف"مصطفى بن العابد" وضع على لسانه السرد الذي يقدم حقائق تاريخية من ذاكرة "الطاهر وطار"، أما "مصطفى بن بو العيد" المعروف عنه برباطة الجأش فقد مات بدون الإدلاء بأسرار الثورة التحريرية للجيش الفرنسي.

وتظهر بسالة "مصطفى بن العابد" في الحوار الذي دار بين والده وصديقه "قدور" حول التضحية التي قدمها ابنه في سبيل حرية هذا الوطن «...لا بد من مساعدتك لا تستطيع، لازم موقعك، انبطح لكي لا تتطاير عليك الشظايا. ما إن انبطحت حتى حدث دوي ... ألقى مصطفى بنفسه في حفرة فانفجر اللغم الذي يقف عليه، حظه كانت الحفرة أيضا ملغمة، سارعت إليه لأجده فارق الحياة» (وطار، 2012، صفحة 119)، وهذا المقطع يصور مدى إقدام وهمة هذا البطل، وعلى وحشية الاستعمار في اصطياد ضحاياه.

إضافة إلى الشخصيتين السابقتين يحضر "منسق القسمة" الذي كان ثوريا للنخاع، كما عرف عنه أيضا بأنه رجل متزن لا يظلم عنده أحد ولا يرضى بالزور أبدا، وهذا ما جعله محل ثقة أهل قريته خاصة الشيخ "العابد" الذي كان يرتاح له كثيرا. أما فيما يخص موقفه من عودة الشهداء فيختصر في قوله التالي: «حينما شاء الحي وجه رأس الميت» (وطار، 2012، الصفحات 121-122)، وهذا تعبير صريح مفاده أن للخونة سلطة القرار في اتخاذ كل شيء باعتبارهم يمتلكون زمام الأمور، وأن التاريخ وحده هو من يخلد شهداء الثورة مثلما خلّد "الأمير عبد القادر" والبقية من الشهداء والمجاهدين من أبناء الجزائر الشرفاء.

2-2-2- الشخصيات الخائنة:

يمثلها أعداء الثورة وأصحاب المصالح، من بينهم "سي المسعي" الذي كان يرى بأن عودة الشهداء في هذا الوقت متأخرة جدا وغير مجدية، ويعود موقفه هذا في كونه من المستفيدين من امتيازات كثيرة منحها إياه الحكومة بفضل ابنه الشهيد الذي كان يتقاضى عنه منحة شهرية، ناهيك عن المنزلة الرفيعة التي أضحى يتمتع بها.

وتتجسد صورة الخيانة بمفهومها المكتمل في شخص سي المانع" الذي وشى بـ "مصطفى بن العابد" لجيش الاحتلال بغية القضاء عليه، لكنه لم ينجح في مهمته، لذلك عندما سمع بعودته تملكه الخوف من قرب نهايته.

وفيما يخص موقفه من خبر عودة الشهداء نجده قد ساوى بين المجاهدين وبقية الناس أمام القانون، قائلا في نفسه: «أقدم لهم ملفات الانخراط في الحزب مع التصريح بالالتزام للسلطة الثورية، وإذا كانت تتوفر فيهم الشروط والمقاييس لا بد من تقبلهم في اللجان كمشاركين على الأقل، وعندما يبرهنون على طاعتهم وإخلاصهم وتضحيتهم يرقون إلى خلايا المناضلين» (وطار، 2012، صفحة 130)، وفي هذا تحايل كبير على المخلصين للوطن، فكيف له أن يتحكم فيهم وهو من باعهم بثمن زهيد. وهناك أيضا "رئيس البلدية" المعروف لدى العامة من الناس بأن والده قتل على يدي "مصطفى بن العابد" لأنه كان مواليا للاستعمار. شغل بعد الاستقلال منصب مدير للمدرسة، وعند سماعه خبر عودة "مصطفى" من والد هذا الأخير تمنى تمزيق جسده بأسنانه نتيجة الحقد الكبير الذي يحمله له.

وفيما يتعلق بموقفه من عودة الشهداء فقد كان سلبيا، فهم حسب اعتقاده سيتغير فكرهم في ظرف وجيز من الزمن، وسيتأثرون حتما بالواقع الجديد، وهذا الرأي فيه استهتار كبير بالشهداء الذين قدموا حياتهم ثمنا في سبيل حرية هذا الوطن.

ويحضر أيضا "قائد فرقة الدرك الوطني" الذي كان ضد الثورة سابقا، والآن هو من الانتهازيين الذين لا تهمهم سوى مصلحتهم الشخصية. كان سببا في استشهاد العديد من الجزائريين، ويرى بأن عودة الشهداء مشكل كبير يهدد مصالح الكثير من المستفيدين من نعمة الاستقلال يتقدمهم "مصطفى" كونهم سينتقمون منه لأنه خانهم أيام الثورة التحريرية.

إضافة إلى كل هؤلاء نجد "مسؤول الفرع النقابي" الذي تتعلق عودة الشهداء حسب وجهة نظره بما سيأتون به من أفكار «من الناحية النضالية فحسب الأفكار التي يعودون بها، أما من الناحية الاجتماعية فأسمح لي بالاحتفاظ برأيي الشخصي» (وطار، 2012، صفحة 127)، وهذا الطرح سلبي جدا باعتباره صادر عن شخص مجاهد شارك في حرب التحرير.

كما تنتمي لهذه المجموعة "رئيسة الاتحاد النسائي" التي لا تحب سوى نفسها، تدافع عن مصالحها بكل الطرق وذلك من خلال استغلال لمنصبها، إذ عملت على ترهيب نسوة القرية وتخويفهن مما يقال حول عودة الشهداء التي ستكون حتما من منظورها مضره بهن وبكل أهالي القرية.

2-3- الشخصيات المحايدة:

لا تؤمن بعودة الشهداء إطلاقا، من بينها " قابض البريد" الذي يرى بأن عودة الشهداء أمر إداري لا غير، همه الوحيد هو التساؤل حول مصير الأموال التي كانت تستفيد منها عائلات الشهداء، فبعد عودتهم حتما ستفقد امتيازاتها المادية «عودتهم ستطرح إعادة النظر في العديد من الأمور» (وطار، 2012، صفحة 140)، خاصة المادية منها فلا أحد سيأخذ علاوة عنهم لأنهم الآن سيصبحون على قيد الحياة.

كما نجد "سي قدور" المجاهد السابق والصديق المقرب من ابن "العابد"، حيث قام بدفنه عند استشهاد، وكان يرى بأن "مصطفى" وغيره من الشهداء ينعمون عند ربهم بالجنة.

إضافة إلى ذلك هناك أيضا "الإمام" الذي بعد سماعه نبأ عودة "مصطفى" من لسان والده استنكر هذا الخبر معتبرا أنه ليس بالنبي "عيسى بن مريم أو المهدي المنتظر"، كما رفض زواج أرملة "مصطفى" من أخيه بحجة أن الشهداء عند ربهم أحياء يرزقون.

2-3- الزمكان الفني:

2-3-1- الزمن:

2-3-1-1- الماضي:

يتجلى هذا الزمن في استرجاع ذكريات الثورة، ومن أمثلة ذلك الحوار الذي دار بين "العابد وسي قدور" حول ظروف استشهاد "مصطفى" «-أريد أن تعيد علي قصة استشهاد ابني مصطفى كما حدثت... -كنا قادمين من الأوراس، في طريقنا إلى الحدود نحمل بريد الولاية، كنا نسير جنبا لجنب، وبعد مدة، لست أدري كيف سبقني مصطفى.

د. الطاهر مسيلي

لم يبق لنا لبلوغ الأسلاك الكهربائية إلا مسيرة ساعة ونصف... وكانت الليلة مقمرة رفعت رأسي لأطلب من مصطفى أن ينتظرنني فوجدته جامدا في مكانه وهو يهتف:
-الله أكبر... ألقى مصطفى بنفسه في حفرة فانفجر اللغم الذي يقف عليه...دفنته هناك يا عمي العابد وواصلت طريقي»(وطار، 2012، صفحة 137)، مؤمنا بأن مسيرة الكفاح مستمرة حتى نيل الحرية.
2-3-1-2-الحاضر:

يظهر الحاضر في الحوارات المباشرة التي دارت بين شخصيات القصة، من أمثلتها ما دار بين "العابد وسي المسعي" «-ألم تفكر قط أنّ ابنك الشهيد قد يعود يوما، يدق الباب ثم يقتحمه ويتناولك بين أحضانه؟
-أقسم بالله العلي العظيم، أنّ خيال ابني لم يفارق عيني قط منذ سبع سنوات، كلما وضع الغداء أو العشاء، رحلت أبحث عنه يمنا وشمالا، منتظرا التحاقه بي، كلما وقف أحد عند رأسي انتظرت طلعه...»(وطار، 2012، الصفحات 121-122) من كثرة اشتياقه له فرحيله شكل له صدمة كبيرة على الرغم من اعتزازه بذلك لأنه مات شهيدا.

عموما يعبر هذا الزمن عن الحالة الهستيرية التي يعيشها "العابد" بفعل الرسالة التي وصلت، وسعيه على نشرها بين أبناء قريته، خاصة المقربين منه، يقابلها في ذلك حالة السخرية التي قوبل بها خاصة من مسؤولي البلدية، ورجال الدرك لأنهم لم يصدقوا ذلك معتبرين أن هذا الشخص مختل عقليا.
2-3-1-3-المستقبل:

يحيل هذا الزمن إلى عودة الشهداء وموقفهم مما هو حاصل في القرية، فمثلا "سي المسعي" يعتقد بأنّ عودتهم في هذا الوقت متأخرة جدا وغير مجدية «في الحقيقة عودة متأخرة مثل هذه، تتم عنها مشاكل كبيرة... لو حدثت في السنتين الأوليين للاستقلال لكانت معقولة، أما بعد كل هذه السنوات فالمسألة تتطلب تفكيرا جديدا...»(وطار، 2012، صفحة 118). وموقفه هذا ناتج من الامتيازات التي يتمتع بها.

ويرى رئيس وحدة الدرك الوطني بأنّ رجوعهم سيكون تهديدا له وللذين لديهم امتيازات. «إذا عاد من يعرفني فستكون المشكلة لا أحد يعلم عن أسري يوم المعركة التي استشهد فيها كل أعضاء فرقنا ما إن انطلقت الرصاصات الأولى حت رفعت يدي وركضت نحو العدو غير مبالي بهتافات العودة خلفي، كنت حامي القرية بالمدفعية الرشاش، المحصن فسقطوا جميعا...»(وطار، 2012، صفحة 119)، لذلك فهو يرفض عودتهم لأن نهايته حتما ستكون على أيديهم.

ويأمل منسق القسمة في حالة عودتهم بمساواتهم مع بقية شرائح المجتمع فالقانون واحد وجب تطبيقه على الجميع «أقدم لهم ملفات الانخراط في الحزب مع التصريح بالالتزام للسلطة الثورية، وإذا كانت تتوفر فيهم الشروط والمقاييس لا بد من تقبلهم في اللجان كمشاركين على الأقل، وعندما يبرهنون على طاعتهم وإخلاصهم وتضحيتهم يرقون إلى خلايا المناضلين»(وطار، 2012، الصفحات 133-134)، وهذا دليل على عدم احترام من حرروا الوطن.

2-3-2-المكان:
تعتبر القرية الفضاء المركزي الذي جرت فيه أحداث هذه القصة، وهي بدورها تنقسم إلى أماكن فرعية هي:

2-3-2-1-الشارع:
لعب دورا كبيرا في التعريف بالحالة النفسية للشيخ "العابد" بعد أن علم بعودة الشهداء، ومن هنا بدأت تساؤلاته الداخلية فالخارجية بسرد قصة عودة الشهداء على كل شخص يلتقي به في الشارع حتى شاع الخبر في القرية كلها.

2-3-2-2-المسجد:
تلقى فيه البطل "العابد" صدمتين من الإمام، الأولى كانت برفضه عقد قران أرملة "مصطفى" بشقيقه الأصغر بحجة أنّ الشهداء خالدون للأبد وبالتالي فإنّ هذا الطلب لا يصدر إلا من شخص كافر، والثانية في الاستهزاء به عندما أخبره بأنّ الشهداء بعثوا للحياة من جديد، وهذا غير منطقي لا يتقبله العقل.
2-3-2-3-سكة الحديد:

مثّلت للشيخ "العابد" مكان الخلاص من الناس الذين لم يصدقوه، بل عزموا على مقاضاته، لذلك قرر الانتحار برمي نفسه تحت القطار، وبذلك بقي سر العودة مجهولا.

2-3-4-الأوراس:

ورد ذكر هذا المكان لمنح القصة بعدا واقعيا لما ترمز إليه هذه الناحية التي كانت حاضنة للثورة الجزائرية «كنا قادمين من الأوراس وفي طريقنا إلى الحدود...» (وطار، 2012، صفحة 127)، وفي هذا إحالة إلى المنطقة التي شهدت أعنف معارك الثورة.

2-4-اللغة:

سيطرت اللغة الفصحى على معظم صفحات هذه القصة، واتسمت بالبساطة والوضوح ظاهريا، لكنّها توحى بمدلولات عميقة، الهدف منها بعث اليقظة في نفوس الناس من أجل الحفاظ على مكتسبات الاستقلال وذلك بالوقوف في وجه أعداء الثورة ممن اعتلوا المسؤوليات، وكذا الانتهازيين الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الشخصية، وهذا ما تجلّى في تصريح رئيس البلدية للعابد حول عودة ابنه «إذا ما عاد مصطفى ابنك فسأنتقم لأبي سأكل لحمه بأسناني» (وطار، 2012، صفحة 117)، وهذا الكلام ليس القصد منه الانتقام لمقتل والده بقدر ما يحيل إلى الحفاظ على مكانته التي يتمتع بها والتي تخول له الاستفادة من امتيازات مادية ومعنوية.

وحتى المجاهد "سي المسعي" الذي فقد ابنه إبان الثورة يرى بأنّ عودة الشهداء غير مجدية حاليا والسبب في ذلك خوفه من ضياع المنحة التي يأخذها نظير استشهاد ابنه «في الحقيقة عودة متأخرة مثل هذه، تتم عنها مشاكل كبيرة... لو حدثت في السنتين الأوليين للاستقلال لكانت معقولة، أما بعد كل هذه السنوات فالمسألة تتطلب تفكيراً جديداً...» (وطار، 2012، صفحة 122). وتخميناً كبيراً في إعادة صياغة الواقع الحالي.

واللافت للنظر كبقية النصوص القصصية الجزائرية الأخرى عدم خلو هذه القصة من العامية التي تقترب من الفصحى والتي تحمل بين طياتها الحسرة على الوضع الراهن، ويتجلّى ذلك في قول منسق القصة للعابد «حينما شاء الحي وجه رأس الميت» (وطار، 2012، صفحة 119)، وهذا تعبير مبطن مفاده أن أعداء الوطن هم الذين يتنعمون بخيراته بعد الاستقلال.

عموماً يحيل طغيان الفصحى في هذه القصة إلى أنّ رسالتها موجهة في الأساس إلى النخبة المثقفة التي تعي فعلا خطر هؤلاء الذين لا يؤمنون بنعمة الاستقلال، لذلك وجب عليهم الوقوف في طريقهم حفاظاً على الأمانة التي تركها لهم من استشهدوا في سبيل عزة أبناء هذا الوطن.

2-5-الحوار:

ينقسم الحوار في "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" إلى حوار يجمع بين ما هو خارجي وداخلي وآخر خارجي وثالث داخلي. من أمثلة النوع الأول ما دار من حديث بين "العابد" وشيخ البلدية: «-ماذا يكون موقفك كشيخ بلدية لو يعود شهداء القرية، كلهم أو على الأقل البعض منهم. لماذا هذا السؤال يا عمي العابد؟

وقال لنفسه: إذا ما عاد مصطفى ابنك فسأنتقم لأبي، سأكل لحمه بأسناني، في حين راح الشيخ العابد يؤكد لنفسه، أن أحدثه عن مصطفى فهو الذي اغتال ابنه الخائن» (وطار، 2012، صفحة 130)، والمقصود من هذا الحوار معرفة حقيقة كل شخصية من خلال موقفها من عودة الشهداء.

ومن أمثلة النوع الثاني ما دار من حديث بين "العابد والمسعي" حول إمكانية عودة ابن هذا الأخير وردة فعله.

ويظهر الحوار الداخلي في حديث قائد فرقة الدرك الوطني مع نفسه حول هذه العودة قائلاً: «إذا عاد من يعرفني فستكون المشكلة لا أحد يعلم عن أسري يوم المعركة التي استشهد فيها كل أعضاء فرقتنا ما إن انطلقت الرصاصات الأولى حتى رفعت يدي وركضت نحو العدو غير مبالي بهتافات العودة خلفي...» (وطار، 2012، صفحة 122). وهذا إثبات عن عدم رغبته من عودة الشهداء لأنها تشكل خطراً على مكانته وحتى حياته.

أخيراً يمكن القول بأنّ: كل حوارات هذه القصة كانت حول العودة غير المنتظرة للشهداء والتي تمثل للأغلبية كابوساً خوفاً من فقدان مصالحها ما عدا الوطنيين الأحرار الذين يتمنون هذا، لأنهم سئموا من صعود الانتهازيين للسلطة وتحكمهم في زمام الأمور.

2-6-التناص:

د. الطاهر مسيلي

يتجلى التناص في الاعتماد على النص القرآني والأحاديث النبوية مثلما ورد في خطاب الإمام للشيخ عندما أخبره هذا الأخير بعودة ابنه الشهيد للحياة من جديد «أو تظن ابنك المسيح أو المهدي المنتظر، أخرج من المسجد أيها الكافر» (وطار، 2012، الصفحات 133-134)، وهذا فيه حكم على أن العودة للحياة والتخلص من الظلم مرتبطان بالنبي "عيسى" عليه السلام وبالمهدي المنتظر.

وفي موضع آخر حول إمكانية زواج أرملة مصطفى من ابنه الآخر رد عليه الإمام قائلا: «إنها كفر بالقرآن الكريم والآيات الصريحة، أولا تعلمون أن حياة الشهداء تجمع عليها كل الأديان؟ والنصارى ينتظرون عودة المسيح لأنه شهيد، ينبغي أن تعلنوا إسلامكم من جديد، ...كله سبحانه وتعالى يقبل عليكم» (وطار، 2012، صفحة 144)، وهنا اعتمد على النص القرآني عن جهل فهو يبدو غير فقيه بأمر الدين.

ومن بين أشكال التناص الأخرى نجد المثل الشعبي في المقطع الآتي: «تبقى البطاقة يا عمي العابد، وين بغى الحي يدور رأس الميت» (وطار، 2012، صفحة 144)، وفي هذا إشارة إلى أن من لا يمتلك البطاقة فهو ليس مجاهد وكأني بها هي المرجع الوحيد لإثبات الجهاد ضد العدو.

ويشكل حضور منطقة "الأوراس" تناسا تاريخيا، فهي إحالة لانطلاق الشرارة الأولى لحرب التحرير. كما أن استدعاء الشهداء عبر صفحات القصة هو إعادة الذاكرة بنا إلى أيام الثورة المجيدة.

3- انعكاس الوعي الفكري:

تطرح هذه القصة موضوع «الرحلة من عالم الشهادة إلى عالم الحياة، وهي من حيث الأسئلة المطروحة المنصبة على الواقع تلخص في أمر واحد هو الموقف من الراهن السياسي ومن احتمال انبعاث الماضي الثوري، وتلخص كل الأسئلة الممكنة في سؤال واحد هو: ماذا لو عاد الشهداء؟ كما تطرح علاقة النص بالمراحل التاريخية الجزائرية» (باغورة، 2021، صفحة 24)، وهي بذلك تصور رفض لما حدث خلال الفترة الأولى من مرحلة الاستقلال التي عرفت تسلسل الخونة وأبنائهم والانتهازيين إلى مراكز السلطة، الأمر الذي نجم عنه سخط ومعارضة المجاهدين الأحرار والوطنيين لذلك، مما دفعهم إلى الاستنكار، بل الوقوف ضدهم، فجاءت بذلك هذه القصة في شكل صراع فكري مثله تيارين متعارضين هما:

3-1- التيار الليبرالي:

يمثل هذا التيار الخونة وأبنائهم والمستفيدون من نعمة الاستقلال، فنجد مثلا رئيس البلدية الذي هو ابن "حركي" عند سماعه خبر عودة "مصطفى" يتوعد بالتصفية الجسدية لأنه قتل والده إبان الثورة، وهذا لكون الخيانة متجذرة فيه مثل والده. كما يرفض قائد فرقة الدرك الوطني عودة الشهداء حتى لا ينكشف أمره بأنه كان خائنا، وبذلك سيتلاشى نفوذه «إذا عاد من يعرفني فستكون المشكلة لا أحد يعلم عن أسري يوم المعركة التي استشهد فيها كل أعضاء فرقتنا ما إن انطلقت الرصاصات الأولى حتى رفعت يدي وركضت نحو العدو غير مبالي بهتافات العودة خلفي...» (وطار، 2012، الصفحات 133-134). لأن همه الوحيد كان النجاة بنفسه، لذلك ارتدى في حوض جيش الاحتلال.

ومن بين الذين يرفضون ويستنكرون هذه العودة المستفيدون ماديا من الاستقلال على الرغم من أنهم ساهموا في الثورة بالجهاد ودفعوا بأبنائهم إلى الاستشهاد نجد "سي المسعي الذي قال: «ابني أتى بحقه مضاعفا، وها أنا أتقاضى منذ سبع سنوات أتقاضى مبلغا ما كنت أحلم به قط، إذا ما أريد توزيع إعانة أو ملابس كان نصيبي الأول، وإذا ما شرع في مد القروض للفلاحين كانت حصتي الأولى» (وطار، 2012، صفحة 119)، فهمه الوحيد مصلحته الخاصة وليس الماضي الثوري لابنه ولا مستقبل البلاد.

والملاحظ على هذا التيار هو الخوف الكبير الذي ينتاب أصحابه لأنهم بكل بساطة يدركون تماما بأنهم على باطل.

في الأخير يمكن القول أن: سياستهم هي امتداد لحقبة الاحتلال، هدفهم هو الاستحواذ على كل شيء، لا تهم المصلحة العامة.

3-2- التيار الوطني:

أصحاب هذا الاتجاه قليلون جدا، يمثلهم كل من الشيخ "العابد" ومنسق قسمة المجاهدين، تلقي الأول لرسالة من ابنه الشهيد لم يكن من باب الصدفة لو لم يكن هناك انحراف في التفسير، حيث كان لهذه الرسالة

الوقع الكبير كونها أفزعت الجميع، خاصة أعداء الثورة وأصحاب المصالح، إضافة إلى أنها كانت السبب في إنهاء حياة "العابد" بالانتحار نتيجة تكذيبه، أما الثاني -أمين القسمة- فكان يؤمن بأن التاريخ لن ينسى من ضحوا في سبيل هذا الوطن،

عموما ممثلو هذا الاتجاه كان لهم الصدى الأكبر في إيقاظ النفوس النائمة وظهور هذا الصراع الذي من شأنه تصحيح مسار النهوض بالدولة، وذلك بتطهيرها من الأيدي الفاسدة، منطلقون من المبادئ التي قامت عليها ثورة التحرير التي جاءت لتحرير المواطن الجزائري من العبودية والاستفادة من خيرات البلاد بالتساوي بين أبنائه.

4- خاتمة:

يدرك قارئ قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" من خلال بنيتها الفنية ومرجعياتها الفكرية مدى تمكن كاتبها من المزج بين جماليات الشكل وعمق الفكرة، فبنيتها لم تقتصر على ما هو جمالي للتعبير، بل كانت مشبعة بإيحاءات ودلالات تعبر عن الوعي العميق لمبدعها، وهذا بتنوعه للأساليب السردية واستحضاره للرموز حتى يمنحها مجالا أوسع للبحث والتأويل في عالمها.

وفي مضمونها الفكري صورت التحولات التي شهدتها الجزائر في بداية استقلالها، هذه المرحلة التي تميزت بالإحباط والصراع نتيجة محاولة أعداء الثورة بسط نفوذهم في تسيير شؤون البلاد والسيطرة عليها، لذلك نجدها محملة برؤية نقدية مست ما هو سياسي واجتماعي بغية استشراف مستقبل أفضل يكون يرفض الماضي الاستعماري والحاضر الذي لا يبشر بالخير من خلال أولئك الذين لا تهمهم سوى مصالحهم الخاصة. يمكن القول بأن: "الطاهر وطار" في قصته هذه سعى إلى تفكيك وتحليل الواقع المحلي للبلاد بأسلوب يتمشى وروح المرحلة التي عاشتها الجزائر بعد الاستقلال.

أخيرا أقترح ضرورة التعمق في مثل هذه الإبداعات التي يسعى مؤلفوها إلى تغليب المصلحة العليا للبلاد من خلال تطرقهم بالوصف والتحليل لأجواء الصراع الفكري المشحون بين الوطنيين ونقيضهم، إضافة إلى كونها تمثل وثيقة تاريخية بالدرجة الأولى حتى يمكن تفادي السقوط في مستنقع من يعادون الوطن.

5- المراجع:

- 1- الطاهر وطار. (2012). الشهداء يعودون هذا الأسبوع. الرغاية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 2- محمد الصديق باغورة. (2021). السؤال والموقف التاريخي في الشهداء يعودون هذا الأسبوع. حوليات الأدب واللغات، 2، الصفحات